الغرض من العقاب (١)

— نشر اللورد هلدين الوزير البريطاني مقالا لطيفاً بحث فيه عن السبب في ان الدولة ترسل المجرمين الى السجون وهل ذلك لان الدولة تريد باسم الهيئة الاجتماعية ان تنتقم منهم — ام هي تريد تربيتهم وابعادهم عن طرق الشر وجعلهم اناساً خاضعين للقانون ؟ وقد جاء في هذا البحث مايأتي :

لا يزال يوجد عنصر كبير من الاجرام في الهيئة الاجتماعية على الرغم من انتشار التربية والاعتدال في الشهوات ونحن نرجو ان يقل في هذا العصر وان كنا لا نأمل في انقراضه لذلك نحن نفعل كي نضع حداً لهذا التفوذ الضار

والعقاب شأن كبير في تضييق دائرة الاجرام وان كان لا يقوم بهذا الامر وحده، وتوجد عدة نظريات لتبرير العقاب .

فيرى البعض انه اتقام الهيئة الاجتماعية من اعضائها الذين ارتكبوا جرماً وهم يقولون ان هذا لا يجب ان تظهر ارادتها ضدهم في شكل يدل على استيائها منهم .

ويرى البعض الآخر العقاب بانه ينطوي على محاولة لاصلاح المجرم كي يكون عضواً اكثر نفعاً للهيئة الاجتماعية والغرض من تدخل الدولة في الحجز على حريته اصلاحه

ومن الواضح ان اصحاب هذا الرأي لا يفكرون في عقوبة الاعدام ولكننا نرى ان هاتين النظريتين المتطرفتين مما اكثر توغلا في النظريات مما تدل عليه خبرتنا

على انه يجب علينا ان نحسب حساب مايتطلبه الرأي العام من ان يتفذون ارادته بصفتهم اعضاء الهيئة الاجتماعية . فهذا هو الدليل الوحيد المستمد من التجربة

(١) عن التيمس .

على ما سميه احياناً الارادة العامة فان مجرد النظريات تنطوي على الخطر والتجارب الانسانية متعددة النواحي وثابتة - فقد يكون للعقاب معنى جزائي وقد يكون له معنى اصلاحي وقد يعين العقاب وسيلة يكفر بها المجرم عن ذنبه

فالمبدأ الذي يعتبر العقاب تكفيراً عن الذنب هو مبدأ يتيح الفرصة لعمل الخير والمتعة بايلام المجرم ذلك وفي ذلك فرصة لايقاظ ضمير من اتى ذنباً بسيطا دون ان يكون التأثير عليه عقيدة خاصة

لم نكن في الماضي نلتفت التفاتاً كافياً الى الصفات التي يجب ان يتحلى بها اولئك الذي يعملون على ايجاد الروح الاخلاقية والدينية في المسجونين فذلك عمل سام وليس من السهل القيام به وليست اشك في انه يمكن ايجاد الرجال اللائقين بذلك

على ان الفكرة القائلة بان العقاب هو امر جزائي لاتزال سائدة بيننا فلا يزال الكثيرون من الناس يرون ان العدالة تتطلب ايلام الرجل الذى يسبب للاخر آلاما وان لم تعد على الآخر فائدة من ايلامه او لم تعد على المذنب فائدة من الالم

ان هذه الفكرة ضيقة جداً ويظهر انه يرادبها ابدال العقاب بالشهوة في قيادة الاخلاق ان مجرد ايلام المذنب خطأ كبير ولايمكن تبريره الا اذا كان من شأنه انقاص الآلام في آخر الامر فالجريمة شر من الشرور واذا اضفنا الى آلام المجني عليه آلام المجرم او جدنا شرين بدلا من شر واحد

يجب على المجرم ان يحمل على القول — اذا كان ذلك مستطاعاً — انه لم يكن في عمله مجنوناً فحسب بل انه اتى اثما جسيما وانه يستحق ماناله في اعين الناس فالعقاب الذي يكون له تأثير في تربية المجرم يتوقف على الاعتراف به بعد هذا العقاب ويجب ان لاتتوقف عدالة العقاب على مجرد تأثيره الاولى

يجب ان يشعر المجرم بانه يستحق ماناله من عقاب ولقد قال سقراط لبيودورس يجب ان لاينسلط الوهم على الرجل سيء فيعتقد انه اظهر في ارتكاب اثمه ذكاء .

وقد روى افلاطون في كتاب (كريتون) ان سقراط وهو على وشك ان يجرع السم اخذ يفسر نظرية الخضوع للعقاب فقد اتخذ اصدقاؤه العدة لفراره وكانت الدولة الآثينية قد حاكمته وحكمت عليه فابى ان يخالف امر الدولة التي ينتمي اليها

يجب على القاضي وهو يقضي بالعقاب ان يكون بعيداً عن العامل الشخصي في الموضوع ويجب عليه ان يوازن بين حق الجماعة وحق الفرد في حماية سائر الطروف ويجب ان لا ينسى مظاهر التكفير والاصلاح والانتظام والاصلاح فيما بالنسبة لعامل التربية فقد اخذ بعضهم يعتقد بان عليهم واجباً هو اعداد المجرم للدخول ثانية الى الحياة الاجتماعية وصرنا نعتقد ذلك بطريقة لم تكن معروفة في الازمان الخالية فقد اتيحت له الفرص كي يتعلم وان يسمع المحاضرات والحفلات الموسيقية وغير ذلك وفي ذلك تقدم كبير ويجب ان يكون ذلك متفقاً مع المبدأ القائل بانه يجب ان يكون العقاب عقاباً حقيقياً وهناك وجه آخر لهذه المسألة هو ان المجرمين يحتاجون الى اخلاقهم ويجب تنمية هذه الاخلاق في احسن وجوهها حسب شخصية الفرد . فلا ضرورة قط لان يكون عذاباً ادبياً ويجب العناية باختيار رئيس السجن كي تتوفر فيه الكفاية الخاصة لادارة امور السجن

ان هذه الملاحظات هي اثر لافكار المفكرة اكثر من ان تكون اثراً للخبرة المباشرة وقد اقترحت هذه الآراء لان النتائج التي وصلت اليها تتفق مع خبرتي الطويلة في خدمة الدولة .

***